باب الكتب الجديدة

أسس الصحة النفسية — للدكتور عبد العزيز القوصى . مطبوعات معهد التربية للمعلمين ، القاهرة ١٩٤٥ — الطبعة الثانية ١٩٤٦ ، ٥١١ ص .

يقدم لنا المؤلف فى هذا السفر الضخم خلاصة البحوث والملاحظات التي قام بها منذ عشر سنوات في العيادة الطبية السيكولوجية الملحقة بمعهد التربية للمعلمين، وفي مكتب الخدمة الاجتماعيه لمحكمة أحداث القاهرة . وهذا ما يطبع الكتاب بطابع خاص ممتاز : طابع المجهود الشخصى الذى بذله عالم مصرى يستمد مواد كتابه من دراسته المتواصلة لجانب من جوانب البيئة المصرية . ولهذا يعتبر كتاب الدكتور القوصى بحق حداً يفصل بين عهدين في تاريخ الدراسات السيكولوجية التطبيقية في مصر : عهد كان المؤلفون في علم النفس يكتفون بنقل ما ورد فى الكتب الأجنبية ، سواء أفهموا ما ينقلون أم لم يفهموا ، وعهد تمصير علم النفس لا تعريبه فحسب — وذلك بتدعيم النظريات وتوضيحها بتحليل الحالات التي يعرض لها الباحث المصرى في بيئته . ولا يسعنا إلا أن نهنىء الدكتور القوصى بهذا الأثر العظيم — العظيم فى قيمته العلمية كما أنه عظيم فى فائدته التطبيقية — وأن نشكره على هذه التحفة الرائعة التي قدمها إلى كل من يحرص على تقدم الدراسات السيكولوجية في مصر تقدماً فعليا منتجاً .

ويلخص لنا المؤلف في مقدمته مضمون الكتاب فيما يلى :

« وقد جمعت نتائج كل هذه الخبرة فى هذا الكتاب الذى جاء مشتملا على ثلاثة أجزاء : يشمل الجزء الأول القواعد العامة للصحة النفسية ، وأغلبها قواعد نظرية مدعمة بالأمثلة العملية المشتقة من الحالات التى درسناها ، بما فى ذلك أثر الناحية الصحية وأثر الوراثة ، كما يشمل نزعات الطفل الفطرية ، وتعدل هذه النزعات مما يؤدى إلى تكوين خلقه وعواطفه .

« أما الجزء الثانى فإنه يشمل بيئة الطفل الاجتماعية ، وقد قسمنا هذه إلى جزءين : البيئة المنزلية بما فيها من والدين وإخوة ، والبيئة المدرسية بما فيها من تلاميذ ومعلمين .

« والجزء الثالث يشمل بعض المشكلات التى تعرض للآباء والمعلمين والقائمين على تربية الأطفال وتدرجنا فى شرح كل هذا ، مبتدئين بالمشكلات الأولى من نوم وتغذية ، وبينا أسبابها وآثارها النفسية ، وأهميتها فى نشأة الفرد ، وتدرجنا إلى مشكلات الطفولة المتأخرة ، ثم إلى مشكلات المراهقة ، فعرضنا للمشكلات الجنسية ، ثم ختمنا الكتاب بفصل عن التربية الجنسية ، اكتفينا فيه بعرض عام لما يجب أن يعمل ، وببيان تفصيلى عما يعمل فى الخارج مما يمكن أن نسميه التربية الجنسية المقصودة . ولعل دراسة ما يعمل فى الخارج قد توحى بما يمكن عمله فى مصر » .

أما تفصيل المشكلات فهو كالآتي : التغذية ، النوم ، التبول اللاإرادي ، الحركات ، العصبية ، صعوبات النطق ، الخوف وضعف الثقه بالنفس ، الكذب ، السرقة ، الميل للاعتداء والتشاجر ونوبات الغضب ، التخريب ، الغيرة، التأخر الدراسى ، وأخيراً المشكلات الجنسية والتربية الجنسية .

يكفى هذا السرد البسيط لأهم موضوعات الكتاب لإعطاء فكرة إجمالية عن ثرائه وغزارة مادته ، فضلا عن أن الدكتور القوصى تناول علاج المشكلات باعتداله الجميل وحكمته الهادئة وروحه الواقعية ، منتقيا من أهم النظريات السديدة في العلاج النفسى ما يوافق كل حالة ، شاعراً من جهة بمدى تعقد الحالات النفسية ، وعالماً من جهة أخرى أن كل نظرية في علم النفس ، مهما بعدالشق بينها وبين النظريات الأخري ، ليست سوى محاولة لسبر غور الحياة النفسية ، ووسيلة ناجحة لمعالجة بعض الحالات دون غيرها .

وإذا أضفنا إلى توفيق المؤلف في عرض المشكلات ، ما أتحفنا به من عرض شائق ، في الجزء الأول النظري ، لموضوعات الوراثة والبيئة ، وصلة الجسم بالنفس ، والغرائز ، والعواطف ، وتكامل الشخصية ، لجدر بنا أن نعتقد « أن الكتاب بهذه الصورة يفيد طلاب علم النفس على اختلاف أنواعهم وطلاب معاهد المعلمين والمعلمات ، ويفيد الآباء وكل من له صلة قريبة أو بعيدة بتربية الأطفال ومعاملتهم والإشراف على أمورهم . »

***

ومما يزيد من فائدة هذا الكتاب ثبت المصطلحات الواردة فيه . وقد بذل الدكتور القوصى فى اختيارها مجهوداً كبيراً ، ووفق فيه إلى حد بعيد ، غير أننا نرى من واجبنا العلمى وخدمة للقراء أن نصحح بعض الأخطاء التى وقعت سهواً بلا شك ، وأن ندلى ببعض ملاحظات عابرة عن مصطلح أو إثنين من المصطلحات التى تتصل معانيها بحقائق علمية هامة .

أما الأخطاء التي وقعت سهواً والتي لم تصحح في الطبعة الثانية التي ظهرت أخيراً فهى الآتية :

ما يسميه المؤلف التناقض الوجدانى ليس ambivalency بل ambivalence ، وإن كان يقال في علم الكيمياء valence أو valency ، غير أن الكلمة الواردة فى كتب التحليل النفسى هى ambivalence فقط .

وقع خلط بين anabolism و catabolism فالأولى تفيد عملية البناء الحيوى لا الهدم ، في حين أن الثانية تفيد على العكس عملية الهدم الحيوي لا البناء .

وترجم لفظ lalling بلثغة (قلب الراء لاماً) في حين أن هذا اللفظ لا يفيد القلب بل تكرار الصوت أو اللفظ عينه كما هو مشاهد خاصة في الرضيع وفي حالات العته .

وتفيد urethral inflammation التهاب مجرى البول في الذكور والإناث معاً . أما vulvo - vaginitis فلا تفيد التهاب مجرى البول في الإناث ، بل التهاب الشفرين والمهبل .

وفي صفحة ٧٣ من الطبعة الثانية ترجم لفظ asthma بسعال بدلا من ربو . وفي ص ٨١ suggestion بالقابلية للاستهواء بدلا من إيحاء أو استهواء . وفي ص ١٥٥ diffidence بعدم الاهتمام بدلا من عدم الثقة

ونقترح في ص ٤٧ استعمال « مؤثرات » أو « تنبيهات » بدلا من « إحساسات » لأن الإحساس عملية نفسية بحتة فلا يمكن أن تصدر الإحساسات من الموقف . كما أنه يبدو لنا أن ما ورد في ص ١٢٧ عن عقدة النقص inferiority complex لا ينطبق على نظرية فرويد بل على نظرية أدلر وما قاله عن الشعور بالنقص . أما لدى فرويد فعقدة النقص لا تختلف عن عقدة الإخصاء castration complex . ثم تحدث المؤلف عن عقدة الأب وعقدة الأم ، ثم ذكر عقدة أديبوس وعقدة إلكترا كأنهما مختلفتان عن السابقتين ، مع العلم أن لا فرق بين عقدة أديبوس وعقدة الأم وبين عقدة إلكترا وعقدة الأب .

وقد ميز الدكتور القوصى بين neurosis و psycho-neurosis بأن ترجم اللفظ الأول بمرض عصبي ، والثاني بعصاب نفسى . والفرق بينهما في اللغة الإنجليزية طفيف جداً إذ أنهما يشيران إلى أمراض نفسية ناشئة عن صراع نفسى لا عن إصابة عضوية في الجهاز العصبى ، في حين أن الفرق عظيم بين مرض عصبي وعصاب نفسى فالأول ينتج عن إصابة عضوية في المراكز العصبية وهو من اختصاص طبيب الأمراض العصبية ، أما العصاب فهو من اختصاص طبيب الأمراض العقلية أو المحلل النفسى .

ولا ندرى ما دفع الدكتور القوصى إلى ترجمة neurosis بمرض عصبى ، بدلا من عصاب أو من مرض نفسى ، خاصة أنه صرح في هامش ثبت المصطلحات «أن من الخير أن يترجم المصطلح بحسب معناه لا بحسب تركيبه اللفظي الحرفى » .

وأدت ترجمة neurosis بمرض عصبي إلى الخلط في عدة مواضع في الكتاب بين neurosis و nervousness عند تحدث المؤلف عن الحالات التي درسها (من ص ١٩٤ إلى ٢٠٩) .

ويبدو جليا عدم توفيق المؤلف في ترجمة neurosis عند ما نقرأ في ص ١٢٥ وما بعدها ما كتبه عن إحدى الحالات الأولى التي عالجها فرويد مع زميله برويار : حالة الفتاة التي أصيبت بشلل ونسيت لغتها الأصلية وأصبحت تتقزز من شرب الماء . فقد عرض الدكتور القوصى هذه الحالة عرضاً جميلا ممتعاً ، غير أننا نعتقد أنه شوه هذا العرض عند ما اختتمه بقوله : « ... أصيبت الفتاة بمرض عصبي من أعراضه عدم القدرة على شرب الماء . » بدلا من أن يقول ، بكل بساطة ، بمرض نفسي ؛ إذ أن عدم القدرة على شرب الماء راجع إلى عامل نفسى ، هو الكبت ، لا إلى شلل في عضلات الفم واللعوم إذ أن الفتاة كانت تروى عطشها بأكل الفواكه وبلع عصارتها .

ويزداد ضيق القارىء بقراءة « مرض عصبي » في هذا الموضع بالذات عند ما يذكر أن فرويد نفسه صرح بعد أن زاول التحليل النفسى بقليل أنه لم يبدأ يفقه شيئاً فى الأمراض النفسية إلا يوم نسى كل ما تعلمه عن الأمراض العصبية .

ربما يوجد هناك ما يبرر فى نظر الدكتور القوصى ترجمة neurosis بمرض عصبى ، وهو أن هذه الترجمة أقرب إلى فهم عامة الجمهور من مرض نفسى أوعصاب . ولكن الواقع أن الجمهور قلما يذعن لقرار أخصائى الأمراض العصبية عند ما يشخص الشلل في أحد المرضى كأنه شلل تشريحى لا وظيفى ، فلا يزال يعتقد أن الحالة حالة نفسية فيلجأ إلى المنوم المغناطيسى أو إلى محضر الأرواح راجياً الشفاء للمريض عن طريق الوسائل النفسية. هذا لا يمنع أن كثيراً ما يختلط فى ذهن الجمهور مدلولا عصبي ونفسى ، وفى هذا — كما سبق أن قلنا — مايبرر ترجمة neurosis بمرض عصبي ، أوترجمة nervous disease بمرض نفسى .

ومهما يكن من أمر ، فإننا نعتقد أن هذه الأخطاء الصغيرة لا تقلل مطلقاً من قيمة هذا الكتاب النفيس ، فهى تتلاشى تماما إذا نظرنا إلى المجهود العظيم الذى بذله الدكتور القوصي في كتابه أسس الصحة النفسية .

ى . م

ملخص الآباء الأزكياء — مرشد عملي إلى مشاكل الطفولة والمراهقة

تأليف فلورنس بودرميكر ولويزا جرايمز : ١٩٤٤ . ٢٥٦ صفحة

The Intelligent Parents' Manual — A Practical Guide to the Problems of Childhood & Adolescence. By FLORENCE POWDERMAKER, M. D. & LOUISE GRIMES. *London, Heinmann. Medical Books, 1944. Pp. 256*

يقع الآباء مهما حرصوا ودققوا في أخطاء تربوية يكون لها أكبر الأثر في حياة أطفالهم المستقبلة ، وأن نوع العلاقة التي ينشئها الآباء بينهم وبين الطفل في سني حياته الباكرة تحدد تحديداً حاسما لا موقفه من المجتمع فحسب بل نجاحه أو إخفاقه في التعامل مع غيره من الناس . ولذلك يحسن بالآباء أن يقفوا على مبادئ التربية التي تؤمنهم على الأقل الوقوع في الأخطاء التي لا تحمد عواقبها . ولا شك أن كثيراً من المشاكل تعترضهم في تربية الطفل فلا يجدون لها حلا . مثال ذلك : مص الأصابع ، التبول ، فقدان القدرة على التحكم في المثانة ، التهتهة ، الشره وانعدام الشهية للطعام ، الأرق ، التأخر في تعلم الكلام والمشي ، الخوف من العفاريت ، أحلام اليقظة ، التأخر الدراسي ، الميل إلى التدمير ، والعداء الصريح للمجتمع . كل هذه مشاكل تصيب الأطفال ولا يستطيع الآباء أن يجدوا لها تفسيراً . والكتاب الذي بيدنا يحاول تفسير هذه المشاكل وغيرها مما قد يعترض الآباء أثناء قيامهم بمهمة التربية .

ويحاول الكتاب علاوة على ذلك أن يضع مبادئ عامة لو اتبعها الآباء في التربية أمنوا الوقوع في الأخطاء الخطيرة . فهو يرسم لهم مثلا طريق التربية الدينية والأخلاقية . ويبين لهم ما يجب عليهم أن يصرحوا به للطفل عن حقيقة الولادة والموت ، متى وكيف يكون ذلك ؟ ويعلمهم كيف يجنبون الطفل متاعب المراهقة ويمدون له يد المعونة في حل مشاكلها .

ويمتاز الكتاب بإيراده المبادئ الأساسية ، مؤيدة بأمثلة مختارة تبين كيفية تطبيقها تطبيقاً عملياً ، متجنباً الخوض في مناقشة النظريات أو المدارس السيكولوجية ، وبأنه يتناول بالبحث ، علاوة على حاجات الأطفال ومواقفهم ، حاجات الآباء ومواقفهم المختلفة إزاء الطفل . فهو دراسة عملية ترمي إلى تحقيق العلاقة السوية بين الآباء والأطفال ، بعرضه لنمو الطفل انفعاليا واجتماعيا وعقليا من الطفولة إلى المراهقة .

ويقع الكتاب في خمسة أجزاء هي مختلف مراحل النمو :

١ — الطفولة ٢ — السنة الثانية ٣ — من الثانية إلى السادسة
٤ — سني الدراسة الأولى ٥ — المراهقة

ويناقش كل جزء مختلف النزعات والحاجات والمشاكل الخاصة بالمرحلة التي يدرسها. وفي نهاية الكتاب فصل خاص يشمل مختلف المعلومات عن الجمعيات أو الكتب أو العيادات أو المكاتب الحكومية التي يستعين بها الآباء إذا حزبهم أمر في تربية أطفالهم ، ثم يختم بفهرس للأعلام والمصطلحات .

وكتاب جمع بين العرض العلمي والبعد عن الناحية الفنية والاهتمام بالتطبيق العملي ، لابد أن يستفيد منه كل أب يريد أن يخلق من طفله لا إنساناً ناجحا في مدرسته أو مهنته فحسب ، بل فردا متوافقا مع الجماعة ومواطنا صالحاً . ويساعد على بلوغ هذه الغاية أن مؤلفتي الكتاب إحداها أخصائية في الطب العقلي وعليمة بنواحي الشذوذ التي تصيب الأطفال في سلوكهم وعوامل هذا الشذوذ ، والأخرى أم لعدة أطفال ، بلت بنفسها مختلف المشاكل ورأت بعينها الصعوبات التي قد تعترض أي أب أو أم أثناء القيام بعملية التربية .

عبد المنعم الميلجي

تربية الاطفال المشكلين — تأليف جيلبر روبان رئيس عيادة سابقاً بكلية الطب بباريس

GILBERT ROBIN. — L'éducation des enfants difficiles. *Paris, 1942*

عندما انهارت فرنسا في الحرب الأخيرة أخذ مفكروها في البحث عن أسباب تلك الهزيمة حتى يستأصلوا الشر من جذوره ويقيموا من جديد صرح المجد لبلادهم على أسس متينة . وكان من الطبيعي أن تتجه أنظار بعض رجال التربية إلى إصلاح التعليم حيث وجدوا أن النظام القديم قد فشل في تخريج رجال أقوياء تستطيع الأمة أن تعتمد عليهم في الملمات .

وكتاب « تربية الأطفال المشكلين » إحدى ثمرات هذا التفكير وقد ألفه الدكتور جيلبير روبان في سنة ١٩٤٢ ونشرته دار النشر الجامعية الفرنسية Presses Universitaires de France في مجموعة « ماذا أعرف » "Que Sais-je?" وهي مجموعة صدرت أثناء الحرب لتبسيط العلوم المختلفة وتقديمها للجمهور في كتب صغيرة الحجم سهلة المنال .

والكتاب يقع في نحو ١٣٠ صفحة من القطع الصغير وقد استهله المؤلف بعرض موجز لمشكلة التعليم التي تواجه فرنسا الجديدة وصور لنا كيف أن المصيبة الكبرى التي لحقت

بفرنسا « ترجع إلى انحلال الروح الفرنسية أكثر مما ترجع إلى هزيمة حربية » وعلى هذا « فتربية الشعب بأكمله يجب أن يعاد النظر فيها ولا يكون ذلك إلا إذا بدأنا من الأساس أي بإعادة النظر في تربية الطفل » . والإصلاح فى نظر المؤلف إنما يبدأ بأن « يتجرد كل شخص من أفكاره الخاصة التي توحيها إليه عاطفته أو ميوله فإن ذلك قد أدى إلى القضاء على روح الدراسة الموضوعية وجعل كل فرد يتشبث بنظرياته ويرفض كل ما عداها » .

ثم يتطرق المؤلف بعد ذلك إلى موضوع كتابه فيشرح لنا ماذا نعنى عادة بكلمة « أطفال مشكلين » ويصف لنا الطريقة التي يجب أن تتبع لتمييزهم . وفي الفصول الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن يعرض لكل حالة على حدة ليدرسها بشيء من التفصيل فيحدثنا عن سوء التربية وعن الاضطراب الخلق الذي يرجع لأسباب عاطفية وعن الأطفال الفاسدين وغير المستقرين instables . ثم يعرض في الفصل التاسع للصفات التى يجب أن تتوفر في المربي حتى يستطيع أن يقوم بمهمته على الوجه الأكمل فنراه يقول : « لا يشترط في المربي أن يكون عالماً وإنما يجب أن يكون ذا خبرة وفطانة وأن يحيط بدقائق علم نفس الطفل » . كما يجب بوصفه رئيساً أن يكون له سلطان على الطفل . وهذه السلطة يراها المؤلف واجبة فبدونها لا يكون لتعاليم المدرس وإرشاداته أى تأثير على الطفل . غير أن هذه السلطة يجب ألا تستغل للاستبداد بالطفل أو لتنفيذ مآرب خاصة. وفي الفصول الأخيرة من الكتاب أي من الفصل الحادي عشر إلى الخامس عشر يعرض المؤلف للطرق التي يجب أن تنهج لإصلاح الطباع المتمردة ويتحدث عن مشكلة العقوبات فيقول « لكي تكون العقوبة ذات أثر فعال يجب أن تلجأ إلى الوسائل العاطفية والأخلاقية أكثر مما تلجأ إلى الوسائل المادية » أى أنها يجب أن تتجه إلى إيقاظ ضمير الطفل وإشعاره بشخصيته وأن تبعث فيه روح المحافظة على كرامته . ويصف لنا الدكتور جيلبير روبان أخيراً الوسائل الطبية والسيكولوجية لإصلاح النفوس المتمردة فيقرر « أن كل اضطراب خلقي يضطرنا إلى البحث عن مداه بالنسبة لمجموع شخصية الطفل وإلى اكتشاف الشكل الذى يؤثر به في تلك الشخصية » .

وهكذا نرى أن هذا الكتاب الصغير يلم إلماماً سريعاً بمسائل عدة فى طريقة مبسطة دون التعرض للدراسات الكلينيكية الدقيقة ، فقراءته وإن كانت تعطى فكرة عامة عن الموضوع إلا أنها لا تغنى عن الرجوع إلى الكتب العلمية المحضة لمن يريد التوسع فى دراسة الموضوع .

الدكتور السيد محمد بدوى

الأدوات والألعاب التثقيفية — استقصاء لطرق التربية الحديثة — للدكتور جميل محفوظ

DR JAMIL MAHFOUZ. — Le Matériel et les Jeux éducatifs. Examen des méthodes d'éducation mouvelle. *Presses Universitaires de France, Paris 1945.*

يسرني أن أقدم للقارىء هنا موجز الرسالة التي قدمها صديق الدكتور جميل محفوظ عضو بعثة الحكومة السورية للسوربون ونال بها إجازة الدكتوراه مع مرتبة الشرف.

ولا شك أن ما دفع الزميل إلى اختيار هذا البحث هو مارآه من عيوب المدرسة التقليدية التي تضطر الطفل إلى الخضوع لنظم وقوانين ومناهج لاتتفق مع طبيعته وميوله؛ وشعوره بالحاجة إلى إصلاح بيداجوجي شامل يقلب المناهج الحالية رأساً على عقب ويغير الروح والطريقة المتبعتين في تعليم الطفل. فالكتاب عرض وتحليل لطرق التربية الحديثة مع مقارنة طريقة منتسوري ودكرولي بطريقة المدرسة الفرنسية مما دعا المؤلف للقيام بزيارات استطلاعية في رياض الأطفال بالعاصمة الفرنسية جمع فيها ملاحظاته الشيقة التي أوردها في كتابه. والفكرة الأساسية لهذا الكتاب تدور حول اعتبار الطفل وحدة قائمة بذاتها له تفكيره الخاص وعقليته الخاصة ومنطقة الخاص. وقد أصبحت هذه الفكرة من الشيوع بحيث لم تعد تحتمل الشك وترتب عليها الاعتراف بأن نشاط الطفل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمصالحه الحالية، وأن العمل الذي يقوم به الطفل يكون أبعد أثراً في نفسه إذا اتخذ صورة الألعاب المختلفة التي يمارسها من تلقاء نفسه. وتطبيق هذا المبدأ يوقظ إهتمام الطفل ويوسع أفقه تدريجاً وينظم نشاطه ويوجهه إلى طريق المعرفة المطردة. فلا يقتصر الأمر إذاً على ترك الطفل في طفولته وإنما على العكس يستفاد من هذه الطفولة وما تتميز به من طابع خاص، وهو حب اللعب، في الحصول على مجهود تلقائي متواصل يدفع الطفل دائماً إلى أن يرقى بنفسه. فالألعاب التثقيفية إذاً تفسح المجال لنشاط ذلك المخلوق الصغير الذي لا يستطيع أن يصدر حكماً صحيحاً على مايراه إلا عن طريق العمل والتجربة المباشرة، ولايستطيع أن يعدل فكرته أو يغيرها إلا عن طريق التحقيق المادي.

وقد شرح لنا الدكتور محفوظ في كتابه كيف ننتقل بواسطة الألعاب المختلفة من تربية الحواس إلى التربية الفكرية الصرفة، وشرح لنا كيف تمهد الخطوة الأولى للثانية عن طريق الانتقال من الحسي إلى العقلي ومن الشيء إلى الرمز الذي يعبر عنه. ففي الواقع ليست هناك تربية حسية صرفة فكل لعبة يمارسها الطفل هي تدريب فكري إذ تهيء له فرصة المقارنة والتمييز وعمل المجموعات وترتيبها وتحليل الأشياء ومعرفة العلاقة بينها وكيفية تركيبها، وما من شك في أن كل هذه العمليات عمليات عقلية.

وينقسم الكتاب إلى قسمين كبيرين الأول يبحث في التربية الحسية ويضم عدة فصول شرح المؤلف فيها الألعاب المختلفة التى ابتكرتها مدام منتسورى والتى ابتكرها دكرولى لتربية الحواس المختلفة ، ثم أعقب ذلك بشرح الأدوات التى اقتبستها المدرسة الفرنسية لكي تلائم طبيعة الطفل الفرنسي ونوع عقليته . أما القسم الثانى فيبحث في تنمية النشاط الفكرى وفيه يشرح المؤلف الأدوات المختلفة التى تستخدم لتعليم الأطفال القراءة والكتابة والحساب، ويعقد في هذا القسم فصلا ممتازاً عن نظرية دكرولى في تعليم القراءة وهي النظرية التى تقوم على «الوظيفة الكلية» عند الطفل Fonction de Globalisation

ولا نجد فى تقريظ الكتاب أبلغ من هذه العبارة التى يختم بها الأستاذ جيوم Guillaume تقديمه للكتاب « لقد جمع الدكتور محفوظ ملاحظاته في كتاب واضح غزير المادة فأعطى بذلك فرصة نادرة للمربين ليطلعوا على طرق جديدة يستطيعون الاستفادة بها في جعل دروسهم أكثر حيوية وأعم نفعاً » .

الدكتور السيد محمد بدوى

من الفعل الى الفكر — بحث فى علم النفس المقارن . تأليف هنري فالون
باريس ١٩٤٢ ، ٢٥١ ص

HENRI WALLON. — De l'Acte à la Pensée. Essai de psychologie comparée . pp. 251 Flammarion Paris 1942

لعلم النفس العام ركنان متينان يعتمد عليهما ليجدد مادته وليزداد تعمقاً ودقة فى دراسة الوظائف النفسية : علم نفس الطفل من جهة ، وعلم النفس المرضى من جهة أخرى . فالأول يسمح بترقب بزوغ الوظائف النفسية وتتبع نشأتها وتطورها بحيث يشاهد العالم عمليات التأليف والتكامل في أثناء سيرها الحى . أما الثانى فإنه يمكن من تحليل الوظائف خلال انحلالها البطىء أو فى أثناء تفككها السريع . وللدكتور هنرى فالون ، أستاذ علم نفس الطفل في الكوليج دي فرانس ، كتابان حديثان يتناولان جانباً هاماً من حياة الطفل العقلية وهو جانب نشأة العقل ونموّ القدرة على التفكير والاستدلال .

ويتناول الكتاب الأول(١) المراحل المؤدية من الفعل إلى الفكر أو بعبارة أخرى من الذكاء العملى إلى الذكاء التأملى . ويقصد بالذكاء العملى القدرة على التكيّف أو على حل مشكلة عملية بدون استخدام التفكير أو التصورات الذهنية ، بل بالاعتماد فقط

(١) الكتاب الثانى هو « نشأة الفكر فى الطفل » وسيرد ذكره فى هذا الباب ص ١٧٨

على إدراك الموقف وفهمه فهما عملياً ، إما مباشرة أو بعد محاولات تؤدي إلى تنظيم الموقف في الإدراك تنظيما جديداً . ويطلق فالون على هذا الضرب من الذكاء اسم « الذكاء المكاني » قاصداً بهذه التسمية أن الشخص بدوافعه ورغباته يكون مع المجال الإدراكي كلا واحداً ، وفي هذه الحالة يكون السلوك ، الذي يرمي في العادة إلى إرضاء رغبة عاجلة ، مقيداً بالظروف الراهنة .

ويكون ذكاء الحيوان ذكاء عملياً بحتاً وكذلك الطفل قبل أن تقوى لديه ملكة التصوّر الذهني والتفكير وقبل أن يتعلم استخدام رموز اللغة . أما الذكاء التأملي فهو الذي يعتمد في خطواته على استخدام التصورات الذهنية والرموز اللغوية .

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام . فالقسم الأول يعرض لأصلح منهج لدراسة الذكاء العملي في الحيوانات والأطفال وهو بدون شك المنهج الموضوعي . غير أن الدكتور فالون يتجنب الأخطاء التي وقعت فيها المدرسة السلوكية فلا يفسر السلوك بإرجاعه إلى عوامل فسيولوجية بل يعتبر أن الظاهرة السيكولوجية يجب أن تفسر بمدلولات سيكولوجية . وهو يقرر وجود مراتب تصاعدية تنتظم الظواهر الطبيعية المختلفة ، كما يقرر أن كل مرتبة لا يمكن استقصاء تفسيرها إلا في ضوء المرتبة التي تكون أعلى منها . وعلى ذلك يقول بإن مظاهر الذكاء في الحيوانات العليا تنطوي على مايشير إلى ما سيكون عليه ذكاء الطفل والإنسان ، وفي الوقت نفسه يعتبر أن ذكاء الإنسان يختلف اختلافاً جوهرياً عن ذكاء الحيوان فلا يمكن إرجاعه إليه ، كما أن المجتمع لا يكفي أيضا لتفسير خصائص العقل الإنساني . ويمكن تلخيص موقف الدكتور فالون في تفسير الظواهر السيكولوجية بالقول بأن التطور الذي يصل بين الفعل والفكر يجب أن يفسر في نفس الآن بوساطة «المقابل» و« المثل » أي بما يشبه الظاهرة وبما يقابلها في الآن نفسه .

ويوضح لنا الدكتور فالون نظريته في القسم الثاني والثالث من كتابه حيث يعرض إلى المقدمات الحسية والحركية للفكر وإلى أصول الفكر الأولية . ففي القسم الثاني يتحدث عن المراحل الأولى التي ستبزغ خلالها قدرة الطفل على التصور الذهني ، كما يحدثنا عن أثر المحاكاة في بزوغ هذه القدرة . وبما أن المظاهر الاجتماعية تفيد في فهم طبيعة العقل ، كما تفيد معرفة طبيعة العقل في تفسير المظاهر الاجتماعية ، يعرض المؤلف لأوجه الشبه الموجودة بين الطقوس والعادات الاجتماعية — وهي إلى حد ما بمثابة تفكير جمعي — وبين التصورات الذهنية الصادرة عن نشاط العقل الفردي .

فأما القسم الثالث فإنه يوضح العلاقة الموجودة بين المدلول به والمدلول أي بين الأثر أو الأمارة أو العلامة أو الرمز أو الكلمة وبين معنى كل منها . ثم بعد التحدث عن

التفكير « الإجمالى » السابق على التحليل ، كما هي الحال في تفكير الطفل ، يختتم كتابه بتفصيل القول في شروط الفكر الأولية .

قد يبدو لقارىء الكتاب أن الدكتور فالون — وهو دكتور في الآداب ودكتور فى الطب — فيلسوف أكثر منه عالم . الواقع أن الدكتور فالون عالم ، بكل معنى الكلمة ، أي أنه يعتقد — كما يجب أن نعتقد — أن التفسير العلمي لا يتم ولا يكمل إلا إذا ارتقى إلى مستوى النظرية التى تفسر أكبر عدد ممكن من الوقائع بأقل عدد ممكن من القضايا والقوانين . وإذا شاء بعضهم أن يعتبروا النظرية العلمية ضرباً من التفكير الفلسفى « النظري » فليس في هذا ما يعيب العلم وخادمه ، إذ أن من طبيعة العلم أن تنصب روادفه في جدول الفلسفة التى ترمي إلى توحيد المعرفة عمقاً ومدى وإذا كان يحق لأمثال أينشتين وجينس وإدنجتون من علماء الطبيعة أن « يفلسفوا » علمهم ، أليس علماء النفس أحق من غيرهم بأن يفلسفوا علمهم الذي يتناول دراسة العقل ، أي الأداة التى تمكننا من معرفة الطبيعة ومن معرفة أنفسنا ؟

ى . م

نشأة الفكر فى الطفل — تأليف هنري فالون

باريس ١٩٤٥ جزءان ٣٠٧ ، ٤٤٩ ص

HENRI WALLON. — Les Origines de la Pensée chez l' Enfant 2 vol. pp.357 & 449. Presses Universitaires de France, Paris 1945.

جمع المؤلف في كتابه « نشأة الفكر في الطفل » محاضرات كان ألقاها في الكوليج دى فرانس ومحاضرات كان يلقيها لو لم تعطل دروسه — بقرار من الحكومة — أثناء الاحتلال الألماني . وقد وقفه على دراسة بوادر الذكاء التعبيري أو النظري عند الطفل ؛ خصوصاً فيما يتعلق بالفترة فيما بين السادسة والثامنة أو التاسعة أى السنوات الأولى من السن الدراسية . إذ المجال فيما قبل هذه السن هو مجال نمو الذكاء العملى — سواء في صوره النافعة أو الخبيثة — منذ أن يتمرد الطفل في سن الثالثة على كل مشاركة تغمره قليلا أو كثيراً فيما يحيط به ، ومنذ أن ينتزع الانا الخاص به ، فيؤكد وجوده ويعززه بكافة حقوقه . ومن هنا ميز المؤلف منذ البدء بين نوعين من الذكاء ، أحدهما نظري والآخر عملي ، تقدمت دراسته كثيراً فى هذه السنوات بفضل علم النفس السلوكى ، بعد أن كان يرد إلى الذكاء النظرى من قبل كل فعل للذكاء .

والسفر الأول من هذا الكتاب طريف كل الطرافة — تناول فيه المؤلف بالدرس والتحليل « الوسائل العقلية » مزودة بكثير من الاختبارات والتجارب التي أجريت على الأطفال في أعمار مختلفة ، في السادسة وما بعدها. وعرض أول الأمر إلى صعوبات هذا البحث وأهمها ضعف الصلة بين الأطفال ومحدثهم ، مما لا يرجع إلى عجزهم عن الاتصال وجدانياً بالآخرين ؛ فإنا نرى الطفل في كثيرمن الأحيان يقطع عمله ليرقص طربا بالنتائج التي حصل عليها ، وليعجب ويسر بنفسه ، ويطلب إلى الآخرين أن ينظروا إليه وهو يعرض نشاطه ؛ وإنما هو على غرار الحشرة ، يعلق تنفيذ ما يفعل على النتائج التي يحصل عليها ، أو على جزء صغير مما يوشك أن يتحقق . كما أن موقفه هذا من المخاطب يتخذ فيما بعد صورة السكوت عما يوجه إليه من أسئلة ، ثم يلجأ بعد إلى المعارضة سواء بنفي كل ما يسأل عنه أو بالتجاهل والعجز مما توسع فالون في بيان وجوهه وتفيض به تجاربه . ثم ينتقل إلى ما يعترى عقل الطفل من قصور يظهر في صورة تعويق أو انقطاع أو استمرار هو الشق المتمم لهذا الانقطاع .

ومن بين هذه الصعوبات الطابع الإضماري للتفكير عند الطفل،مما هو نتيجة للقصور العقلى — كما في اللغة — وحينئذ يكون سببه أن العلاقات بين الأشياء والأصوات فيما بينها غير مستوعبة جيداً — حتى لا يستطيع عقل الطفل أن يميز الفروق التي تسمح له بتحديد الأفعال والغايات ، وبالتالى في التعبير عنها . ويترتب على ذلك إضمار وإلغاء ظروف هامة فى مجرى عملية التفسيرهذه . وكذلك الحال في الأخيلة والصور الذهنية.

وللتفكير عند الطفل أيضاً طابع التفكك كما أن لتجاربه طابع التناثر . فالطفل يفكر في مجموعات صغيرة منفصلة ، بمعني أن تفكيره حتى حين يمتد إلي مرحلة معينة من الظروف والأفكار يشمل مضموناً محدداً من حيث التجميع — فتفكيره إذن جزيئي moléculaire ولكن أهم ما يقرره فالون في هذا الباب هو أن للتفكير عند الطفل طابع الثنائية في التركيب structure binaire بمعنى أن ما يمكن أن نقرره في أصل التفكير هو وجود عناصر زوجية éléments couplés وأن الزوج couple, paire كعنصر للتفكير سابق على الوحدة . وهو يعرف التركيب الثنائي للتفكير تعريفا سلبيا بقوله إنه صورة للتفكير يعطلها أو يضع حداً لها التفكير الناضج أو تفكير البالغ — والمؤلف كثيرا ما يقارن تفكير الطفل بتفكير البالغ — فهذه المقارنة عنده هي كما يقول في الخاتمة العامة للكتاب الثانى ، سبيل دراسة تفكير الطفل . وعلى أى حال فهو يعنى بالازدواج أو الاقتران في تفكير الطفل ما عسى أن يكون في ذهنه من ترابط بين حدين أو لفظين يؤلف بينهما إما بعدم تمايز في إدراكهما — كالسماء واللهب — والشمس والقمر — أو القمر

والليل — والهواء والبارد . . . إلخ أو بتشابه النطق فيهما كما في ver و terre في الفرنسية — وكذلك بين enfer و en feu — وعلى الطفل كما يقول المؤلف ، أن يتخلص فكره من هذا التركيب الثنائي الذى يوقعه كل مرة بين لفظين متشابهين حتى يستطيع أن ينتهى بدقة أكثر إلى تمييز الأشياء (ص ٤٩)

والقسم الثاني من هذا الكتاب يعالج فيه المؤلف مناقضات ومفارقات في معرفة الطفل التى تصادرها الحقيقة فى تجربته الشخصية وما يتلقنه مما يحيط به — وبينهما تعارض (١٣٨) وليس فقط أن الطفل بصدد معارف مختلفة في أصولها ، بل إنه ليختلط عليه كذلك التجريب والأسطورة — والأسطورة والتجربة العادية — كما يتعذر عليه أن يفصل فكرة العلل عن فكرة الأشياء — وغير ذلك من صعوبات الترابط العقلي التي يعرضها المؤلف بالتفصيل فى الفصل الثالث من هذا القسم

وتفكير الطفل فيأصوله لا يقوم على غرار الأفكار التي يعبر عنها البالغ ،التى يبدو أنها ترتبط ارتباطاً منظما فى دائرة محددة أو أنها تتتابع وفقاً للمدلول المحدد الذي يبدو لكل منها فى الأشياء وصفاتها وعلاقاتها وأفعالها التى تقوم بها . ولكنه مفطور على العكس من هذا — على البدء من تأثرات تقوم غير متمايزة في مختلف ميادين الحساسية . والتذكر والتجربة والوجدان العقلي . وهذا ما يسميه المؤلف بالتفكير الإجمالى Syncrétisme وما يعرض له في شتى ظواهره وانحرافاته في القسم الثالث من الكتاب .

وذلك هو تلخيص سريع للكتاب الأول من هذا الأثر الضخم ، لا يغنى عن قراءته بقدر ما يحفز على الإقبال عليه ومطالعته . فإن هذا الكتاب يكاد يذهب مذهباً جديداً في طريقة تناوله للمسائل النفسية عند الطفل وتحليلها وتفسير تجاربها ، مع ميل ظاهر إلى الفلسفة سواء في صعوبة مصطلحاته أو في تصنيف موضوعاته .

كمال دسوقى

مصير الذكاء — تأليف رينيه زازو — باريس ١٩٤٦ — ١٦٠ صفحة

René Zazzo. — Le devenir de l'intelligence. *Presses Universitres de France, Paris, 1946. Pp. 160.*

من العلوم الحديثة التى تمخضت عنها الحركة العلمية في علم النفس منذ نصف قرن ، علم الأقيسة السيكولوجيه psychométrie الذى اتخذ في مرحلته الأخيرة الرياضيات كوسيلة لتحليل الوظائف العقلية . وكان هذا الاتجاه الجديد يعتبر — ولا يزال يعتبر في نظر

بعضهم — ضربا من الصناعة التي تشوه الواقع النفسي وتحطمه . وكانت المعارضة قوية في صف علماء النفس الميتافيزيقيين الذين يعتبرون طبيعة النفسيات منافية لكل تقدير كمي . والواقع أن الوسائل الإحصائية طبقت بنجاح في دراسة الوظائف العقلية أو بعبارة أدق عوامل العقل . غير أن الاتفاق لم يتم بعد بين علماء هذا العلم الحديث ولا يقتصر الخلاف على الوسائل الرياضية التي يجب تطبيقها في تحليل عوامل العقل ، بل يتناول أيضا طبيعة العقل بوجه عام وطبيعة الذكاء بوجه خاص . فلا بد من حين إلى آخر إلقاء نظرة شاملة على النظريات المختلفة ، والتحرر من قيود التخصص الضيق للكشف عن الاتجاه الرئيسي الذي قد يؤدي إلى توحيد النتائج الجزئية في نظام تأليفي جديد . وهذا ما حاول تحقيقه رينيه زازو في كتابه « مصير الذكاء » . والمؤلف ممن جمعوا بين الثقافة الفلسفية والثقافة العلمية ، كما أنه زاول تطبيق اختبارات الذكاء في أمريكا وفرنسا .

وينقسم الكتاب إلى قسمين : الأول في نشوء الذكاء ، والثاني في قياسه .

والمنهج الوحيد المجدي لحل المشكلة الأولى هو المنهج التكويني المقارن . ولذلك نرى المؤلف يناقش مختلف النظريات التي قيلت في تطور الذكاء من الحيوان إلى الطفل ، ومن الطفل إلى البالغ ، ومن الرجل البدائي إلى المتحضر . ويلاحظ في القسم الأول أن مدلول الذكاء لا يختلف كثيراً عن مدلول العقل . فعندما يتحدث عن بحوث علماء نفس الحيوان والطفل يكون لفظ Intelligence أقرب إلى معنى الذكاء منه إلى معني العقل ، وعندما يتحدث عن علماء الاجتماع تقترب دلالة اللفظ من معني العقل كما يفهمه الفلاسفة . والنتيجة النهائية التي يصل إليها المؤلف هي أن الذكاء الإنساني لا يخرج من الذكاء الحيواني كامتداد له ، بل هناك فروق جوهرية بينهما وأن ما يميز الذكاء الإنساني القدرة على استخدام الرموز والمعاني وتكوينها وخلقها ، والتحرر من قيود الحاضر ومن قيود المكان المادي المحدود . وكذلك لا يمكن إرجاع العقل الإنساني ومبادئه إلى النظام الاجتماعي . وقد أثبت المؤلف في كتابه بعض نصوص العالم الاجتماعي دوركهيم Durkheim تدل علي أن دوركهيم كان يسلم بأن التصورات الفردية سابقة على التصورات الاجتماعية . فلا العامل البيولوجي الحيواني ولا العامل الاجتماعي كاف كل منهما لتفسير العقل ، فلا بد إذن من مواجهة هذه الحقيقة السيكولوجية وهي العقل ، واعتبارها متميزة عن شروطها البيولوجية والاجتماعية ، ودراستها دراسة علمية تجريبية باستقصاء جميع شروطها وعواملها ، منها الذاتية الخاصة بها ، ومنها المعاونة لها كالشروط البيولوجية والاجتماعيه . أما إرجاع العقل الإنساني إلى ماهو أدنى منه وأبسط كالعقل الحيواني ، أو إلى ما يعتبره

بعضهم أعلى منه وأسبق كالعقل الجمعى فهو حل عن طريق التبسيط ، في حين أنه من واجب العالم ألا يجهل الفوارق في سبيل إبراز أوجه الشبه فحسب .

أما القسم الثاني من الكتاب فيتناول موضوعاً هاماً لا يزال مثاراً لمناقشات علماء النفس، هو موضوع قياس الذكاء . ويميز المؤلف ثلاث نواحي للذكاء وهي المستوى والقدرة والأسلوب . وتبدو الاختبارات المستعملة لقياس الذكاء كوسيلة ناجحة لدراسة الذكاء من الوجهة التجريبية — تحديد المستوى والقدرة — ومن الوجهة الإكلينيكية أى تحديد الأسلوب . فلا يكفى لتقدير الذكاء اعتبار نتائج الاختبار دون الوقوف على شخصية المختبر ومحاولة فهمها كنظام ديناميكى تتفاعل داخله مختلف المقومات ومنها الذكاء . ولذلك لا يمكن اعتبار الذكاء أمراً ثابتاً أو وظيفة واحدة غير قابلة للتطور ، بل هو ضرب من السلوك بأكمله وهذا ما أبرزته بحوث سبيرمان وهولزنجر في تحليل عوامل الذكاء تحليلا رياضياً .

ويلاحظ المؤلف أن تطور المناهج في قياس الذكاء ساير تطور الذكاء في الفرد، فإذا كان من السهل قياس ذكاء الطفل الصغير بواسطة اختبار واحد فهذا يرجع إلى أن للعامل العام أثراً أقوى وأوضح من أثر العوامل الخاصة . ومع تقدم السن يفقد العامل العام شيئاً من أهميته وتأخذ القدرات الخاصة في الظهور ، أى أن الذكاء يأخذ في التنوع والتمايز وأن نموه ينطوى على فوارق كيفية لا فوارق كمية فحسب . ويجب التفريق بين استقلال الوظائف العقليه النسبي كما يظهر في الطفل الصغير أو في ضعيف العقل وبين تخصص الوظائف . فالاستقلال النسبي يرجع إلى نقص في التكامل . أما التخصص فهو على العكس تنظيم وتكامل. ففي كل ضرب من ضروب نشاطه المختلفه وسلوكه الواقعي، يعمل الإنسان بكل وسائله وبكل قدراته ، بحيث لو وقع نقص في ناحية ما ، عوض هذا النقص قبل ظهور آثاره . وترجع مرونة الذكاء إلى عمليات التعويض ، وهذا ما يميز البالغ عن الطفل والسوي عن ضعيف العقل .

وميزة الكتاب الرئيسية أنه يحمل على التفكير والتأمل ومراجعة بعض الآراء العلمية القاطعة لتقريبها من تعقد الواقع وثرائه .

ى . م .

دراسات التحليل النفسى للطفل كتاب سنوى نشر باشراف أوتو فنيكيل ١٩٤٥

«The Psychoanalytic Study of the Child». An Annual, vol. I. 1945, Ed. by Otto Fenichel and others, International Universities Press, New York, Pr. 423, Price $ 6.00.

هذا هو الكتاب السنوى الأول الذى أصدره فريق من كبار المشتغلين بالتحليل النفسى في أمريكا وانجلترا . وهو فيما نعلم أول عمل دورى منتظم يصدر باللغة الإنجليزية فى دراسة الطفولة على مذهب التحليل النفسى ، وإن كان اهتمام هذه المدرسة باكتشاف الأغوار النفسية للطفل ظل متصلا ومطرداً منذ بدأ فرويد يرود الطريق إليها لأكثر من ثلاثين سنة خلت .

ويقع الكتاب في ستة أبواب ، يحتوى كل منها على بضعة فصول . وتعالج هذه الأبواب المشكلات التكوينية فى الطفولة ، ومشكلات تحليل الطفل وترقيه ، كما تعالج توجيه الطفولة (وكذا أيضاً توجيه الكبار) ومشكلات التربية والحياة الجماعية . فهو على هذا النحو يعالج جانباً كبيراً من حياة الطفولة ومشكلاتها من الوجهتين النظرية والعملية على السواء وإن الآفاق الواسعة التي تمتد إليها البحوث القيمة في هذا الكتاب لتتبدى فى صورة واضحة إذا ذكرنا أنه من الناحية النظرية مثلا يبحث فى المشكلات الأساسية لعلم النفس التكويني كما يعالج مشكلات العلاقات المتشابكة للثقافة وتنشئة الطفولة ، ومن الناحية العملية أو العلاجية يتسع نطاقه من تحليل الطفل إلى توجيه الطفولة والعمل الجماعى . كما أننا نرى فيه ، وخاصة فى بحوث الكتاب الأمريكيين ، تلك النزعة التى ترى على أشدها فى الولايات المتحدة نحو اتصال مذهب التحليل النفسي بالمدارس الأخرى في علم النفس وبعض فروع العلم كالاجتماع والأنثروبولوجيا .

وسيتيح ظهور الكتاب سنوياً للمشتغلين بالطفولة والمعنيين بمشكلاتها فرصة فريدة لتتبع أحدث البحوث في علم نفس الطفل ، كما سيمدهم بمرجع قيم يحتوي آخر التطورات في هذا الفرع النامي من فروع الطب العقلي ، وسيجعلهم ، أنى كانوا ، على اتصال مستمر بجهود العلماء في البلاد التي تعرف قدر الطفولة في مستقبل الحضارة ، وتدرك الدلالة الخطيرة لاعتلالها وانحرافها .

إن سلامة المجتمع ، بل الحضارة ، لتتوقف على مدى التبصر بما لاختبارات الطفولة وأزماتها في تقرير الشخص الذي سوف يكون . وإن مجتمعنا الحديث ليحمل لطفوله أعباء ثقالاً من القلق والتوجس والخوف والكراهة وفقد الأمن وغيرها

من بذور العلة والانحراف . فواجب الذين يعنيهم مستقبل هذه الحضارة ، وكل مثقف يحمل في عنقه جانباً من ذلك الواجب — أن ينبهوا الأذهان إلى أهمية هذه السنوات التكوينية الحاسمة في حياة الإنسان ، وليس أخلق بالذي يريد أن يتوقى العلة فيما بعد من أن يتوفر على تقصى أسبابها في الطفولة وبواكير الحياة حتى يمهد بذلك لنقل استبصاره من المعرفة النظرية إلى التطبيق العملي .

وإن كتاب « دراسات التحليل النفسي للطفل » لمحاولة مفيدة بغير شك لإقامة علم الصحة العقلية على دعامة أثبت في فهم الطفولة . كما أنه مساهمة فعالة ومشكورة للكشف عن بذور الاعتلال النفسي والعقلي في تلك المرحلة ، التي يعد الكشف عنها ، والتحرر منها ، من الضرورات الأساسية للحياة الفردية والجماعية الآمنة والبناء الاجتماعي السليم

صبري جرجس

الزواج التعس والطلاق — تأليف الدكتور إدمند برجلر . ١٦٧ ص . ١٩٤٦

EDMUND BERGLER : Unhappy marriage and divorce. International Universities Press, New York. pp. 167, 1946.

الدكتور برجلر طبيب مشهور ومحلل نفسي من المبرَّزين في هذا الميدان . وقد وقف سنوات طويلة على دراسة الدوافع اللاشعورية لاختيار الزوج ، كما أنه عنى بأسباب الفشل والخيبة في الزواج ، مما يؤدي إلى تحطيم الأسرة وتشريد الأطفال ، تشريداً معنويا وخلقياً علي أقل تقدير . ومن بين بحوثه الحديثة الممتعة ما نشره في عدد أكتوبر سنة ١٩٤٥ للمجلة الأمريكية للعلوم الطبية عن نوع التوافق الذي يتم بين أسلوبين من السلوك العُصابي ، مما يدفع العصابي إلي اختيار زوج عصابي مثله . ويبدو للدكتور برجلر أن الحياة الواقعية أشبه بكتاب في الأمراض النفسية : فالشخصان العصابيان يفتقدان بعضهما بعضاً ، ويبحث الرجل العصابي عن المرأة العصابية التي تكمله . وتكون الصلة التي تربط بين الزوجين العصابيين قوية وثيقة على الرغم من الشجار والصراخ والشكاوى والدموع .. إذ يجد كل منهما المجال فسيحاً لخلع دوافعه اللاشعورية على الآخر ، كما يجد الفرصة لإنزال العقاب على نفسه من حيث لا يشعر ، إرضاء لشعوره بالإثم .

ذلك هو أسلوب المؤلف في تحليل العوامل الخفية التي تسير الإنسان في اختياراته

وميوله وتصرفاته . وفى هذا الكتاب الجديد يطبق هذا الأسلوب فى الكشف عن أسباب الشقاء بين الزوجين . وليست الأسباب الحقيقية تلك التى يتذرع بها أحد الزوجين لطلب الطلاق ، كالسكر وسوء الأخلاق والخيانة وعدم التوافق الجنسي وما إليه ؛ بل إن جذور الخلاف تمتد إلى أعمق من ذلك ، تمتد إلى طفولة كل من الزوجين ، إلى أساليب السلوك المنحرف العصابى التى تكونت في الطفل من حيث لا يشعر .

وهذه الأساليب المنحرفة هي التى أدت إلى اختيار الزوج . ويترتب على هذا الاختيار هذا الموكب التعس من المتاعب والشكاوى التي تكاد تصاحب كل لحظة من لحظات الحياة الزوجية . فيعرض المؤلف بكل لباقة إلى تحليل الخيانة والغيرة والقسوة وضروب الزواج التى تبعثها المنفعة المادية أو الطموح الشخصى أو العناد أحياناً أو شتى المبررات .

ويتناول المؤلف أنواع الصراع الجنسي الذى ينشأ بين الزوجين ، محللا أسباب العنة وفتور الميل الجنسى وشتى الانحرافات الجنسية التي تقوم حائلا بين سعادة الزوجين ، مبيناً كيف أن هذه الانحرافات تعبر عن أسلوب الشخص المريض في معالجة أمور حياته الخاصة والعامة .

ويرى الدكتور برجلر أن الطلاق لا يعتبر حلا للشقاء الزوجي ، إذ أن المطلق سيظل أسير أسلوبه المعوج وضحية عقده اللاشعورية التى لا زالت قائمة ، هذا فضلا عما يصيب الأطفال من صدمات نفسية عميقة من جراء حرمانهم من عطف الأم أو من رعاية الأب

ويخلص المؤلف من بحثه إلي أن الزواج السعيد يقوم علي أساسين اثنين لا غير : حب رومانتيكى ، أى حب لا تشوبه شائبة الاعتبارات المادية البحتة ، ثم علاقات جنسية سليمة تؤدي إلى إرضاء كل من الزوجين بتحقيق الانسجام الجسمى والروحى معاً . فالشخص العصابي عاجز عن أن يستشعر الحنان والحب وعن أن يفهم معنى التعاون والتضحية المتبادلة . وإن من أقوى أسباب الشقاء الذي تعانيه الإنسانية المتحضرة زوال هذا الحب الشعرى الذى يعلو بالنفس البشرية على أجنحة الخيال والمثل العليا .

كما يقرر المؤلف في خاتمة كتابه أن الزواج وبالتالي تأسيس الأسرة علي أواصر متينة دائمة من الحب والتفاهم لا يزال الركن المتين لإقامة المجتمع وتحقيق سعادة أفراده .

ى . م

علم النفس وتطبيقه على التربية — تأليف الأستاذ فاخر عاقل ٣٣١ ص . مكتبة العلوم والآداب بدمشق ، ١٩٤٥

يحتوى هذا الكتاب على برنامج علم النفس لطلاب المدارس التجهيزية ودور المعلمين في سوريا . وهو مجهود كبير جدير بكل ثناء إذ وفق المؤلف في كثير من فصوله الخمسة والعشرين إلى عرض مسائل علم النفس بوضوح وعمق ، دون إغفال التفاصيل العلمية الحديثة مما يدل على سعة اطلاعه . ومما هو جدير بالذكر عناية الأستاذ عاقل بتفصيل القول في الوظائف العقلية العليا ، كما وقف ستة فصول من كتابه على دراسة الانفعالات ، فبعد أن عرض لمشكلة الانفعال ، أو الهيجان حسب تعبير المؤلف ، عرضاً عاماً تناول بالتفصيل في ثلاثة فصول متتالية انفعال الغضب ثم الخوف ثم الخجل . ولم يفته أن يشير إلى الناحية العملية في توجيه الانفعالات وعلاج مظاهرها المنحرفة أو العنيفة .

غير أنه يبدو لنا أن بعض الموضوعات الهامة في علم النفس التربوي لم يوفها المؤلف حقها من التفصيل أو الإيضاح كموضوع الذكاء وموضوع التعلم . ففيما يختص بالتعلم مثلا يكتفى صاحب الكتاب بعرض قوانين ثورنديك في التعلم دون مناقشتها ودون الإشارة إلى ما وجهته إليها من نقد مدرسة الجشطالت ، ودون أن يفطن إلى أن ثورنديك نفسه أدخل على نظريته الأولى كثيراً من التعديل .

وبعد نريد أن نشير إلى توفيق المؤلف في إبراز عناوين الفقرات والمواضيع الهامة باستخدام خط الرقعة مما يساعد الطالب على الوقوف على أهم النقط ومراجعتها بسهولة .

ى . م